

التربية الدينية والانحراف الفكري والسلوكي

رشد التلاميذ

الحمد لله وحده ،

مقدمة :

إن نهضة الامم تتوقف إلى حد بعيد على تربية ناشئتها وحفظهم من الانحراف الفكري والسلوكي ، فالأجيال الصاعدة في كل أمه هي المرشحة لتحمل مسؤوليات المجتمع والقيام بأعبائه ، وبقدر ما يكون تكوينها سليما بقدر ما تقوى على القيام بتلك المهمة .

والتربية السليمة تظهر في ناحيتين أساسيتين هما الفكر والسلوك ، والمقصود بتربية الفكر تدريسه على البحث والنظر ، وتعويدته على النقد والتمحيص ، وتزويده بالتصورات السليمة عن الله سبحانه وتعالى ، وعن الكون ، وعن الانسان ، والمقصود بتربية السلوك توجيه الانسان إلى الاحسان في الاعمال التي يقوم بها ، وابعاده عن سبل الغواية والفساد .

والارتباط بين الناحية الفكرية والناحية السلوكية وثيق ، فسلوك الانسان ليس في حقيقة الأمر إلا إنعكاسا لتصوراته الذهنية . فالذي يتصور مثلا ان

الغاية من الحياة هي جمع المال والاشتهار بين الناس والحصول على المناصب العليا تراه يسعى حثيثا لتحقيق هذه الغايات غير مبال بمصلحة الآخرين ولا بحقوقهم ، بينما الذي يعتقد أنه خلق لغاية نبيلة تتمثل في اعلاء كلمة الحق ورفع الظلم والحيث تراه يسخر كل امكانياته في سبيل تحقيق هذه الاهداف . فكلما الرجلين خضع في سلوكه لما يعتمل في ذهنه من أفكار ومعاني .

ولما كان الارتباط بين الفكر والسلوك بمثل هذه المتانة فإنه حرى بمن يهتمون بالتربية وتوجيهها في تونس أن يهتموا بحماية الفكر والسلوك من الانحراف .

فما المراد بالانحراف فكرا وسلوكا ؟ وبأي المقاييس يقاس الانحراف ؟ وهل للتربية الدينية أثر في تقويم الانحراف الفكري والسلوكي ؟ وما هي الأسباب التي تقف وراء الانحراف بمظهره الفكري والسلوكي ؟ وكيف يمكن علاج ذلك ؟

1 - مفهوم الانحراف الفكري والسلوكي ، ومقاييسه :

يمكن أن نعتبر السلوك غير السوي مظهرا من مظاهر الانحراف عموما ، وهو السلوك الذي يناقض المصلحة العامة للمجتمع ، ويمشي في غير اتجاهها ؟ فالمجتمع المتناسك هو المجتمع الذي تتظافر جهود أفراده على خطة واحدة تسعى لتحقيقها ، ولكي يساهم الفرد في هذا المجهود الجماعي فإن واجبه أن يكون على بينة من حقيقة المجتمع واتجاهه وسعيه إلى التقدم وإلى الرقي .

ولما كانت عوامل نهضة المجتمع تقام على دعائم معنوية ومادية وفي مقدمتها الدين الذي يتنزل منها بمنزلة الرأس من الجسد نظرا للآثر البالغ الذي تتركه العقيدة في الفكر والسلوك فإن منزلة التربية الدينية ينبغي أن ترد في المقام الأول بين إهتمامات المربين ، ويتبع هذا أن مقاييسها وضوابطها وثيقة الصلة

في تقدير عملية الانحراف ، وتقييم الفكر والسلوك بصفة عامة على ضوء ما وردت به الشريعة الاسلامية .

فالبلاد التونسية تنتمي إلى الامة الاسلامية ، والامة الاسلامية ذات مبدأ ، وعقيدة ورسالة ؛ فيجب أن يكون تعليمها خاضعا لهذا المبدأ ، والتربية لكي تؤدي مهمتها في بلادنا ينبغي أن تعمل على تنشئة الاجيال التي تدين بهذه العقيدة ، وتحمل هذه الرسالة .

ولكي تكون برامج التعليم بناءة ينبغي أن تستجيب لذلك المبادئ ، وهذه حقيقة يسلم بها علماء التربية في العالم يقول الدكتور كوننت (1) في كتابه « التربية والحرية » .

«أن عملية التربية ليست تعاط وبيع وشراء ، وليست بضاعة تصدر إلى الخارج أو تستورد إلى الداخل إننا في فترات من التاريخ خسرنا أكثر مما ربحنا باستيراد نظرية التعليم الانجليزية والاوربية إلى بلادنا الامريكية » .

والذي نأخذه من هذا أن برامج التعليم ينبغي أن تكون متلائمة مع شخصية البلاد وتقاليدها الموروثة .

ويقول سيربرسي زن (2) : « لقد سلك الناس مسالك مختلفة في التعريف بالتربية الأساسية التي نسيطر عليها جميعا : أن التربية هي الجهد الذي يقوم به ابناء شعب ومربوه لانشاء الاجيال القادمة على أساس نظرية الحياة التي يؤمنون بها . إن وظيفة المدرسة أن تمنح للقوى الروحية فرصة التأثير في التلميذ ، تلك القوى الروحية التي تتصل بنظرية الحياة وتربي التلميذ تربية تمكن من الاحتفاظ بحياة الشعب وتمديدتها إلى الأمام » .

(1) أبو الحسن الندوي : نحو التربية الاسلامية الحرة ص 67 .

(2) أبو الحسن الندوي المرجع السابق ص 73 .

ويقول جون ديوى (3) في نفس المعنى : « أن الأمة إنما تعيش بالتجديد وأن عمل التجديد يقوم على تعليم الصغار ، إن هذه الأمة بطرق متنوعة تكون من الافراد الاميين ورثة صالحين لوسائلها ، ونظرية حياتها ، وتَصَوُّغُهُمْ في قوالب عقائدها ومناهج حياتها » .

ومن الاسباب التي جعلت إسرائيل بلدا قويا ومتماسكا تركيزه القوى على تعليم الدين اليهودي واللغة تعبر عنه وعن حضارة اليهود في برامج تعليمها . فإذا كان هذا شأن مختلف الامم فلماذا تشذ بلادنا التونسية عن هذه القاعدة بل أننا أولى الناس باتباع هذا السبيل نظرا لما يمتاز به الاسلام الذي ننتمي إليه من سلامة في تعاليمه وقوة في توجيهاته وعدل في أحكامه .

فالدين عنصر أساسي في توجيه التربية والتعليم ، ومن الضروري الرجوع إلى تعاليمه وأحكامه في معرفة مظاهر الانحراف في الفكر والسلوك . فما هي مظاهر الانحراف ؟

مظاهر الانحراف عند ناشتنا :

تبرز مظاهر الانحراف في ما نجده عند التلامذة في الغالب من فوضى فكرية هائلة وشك وارتباب في الدين ، واستخفاف بفرائضه وواجباته ، وتعلق بالثقافات والمذاهب الأجنبية عن بلادنا كالمذهب الشيوعي ونظام الحياة الغربية .

أما الانحراف السلوكي فيظهر في ضعف وانحطاط في الاخلاق والسيره وتقليد للأجانب في القشور والظواهر ، وتبذير للأموال ، وتشبه البنين بالبنات وتشبه البنات بالبنين ، واهتمام بنجوم الرياضة والسينما والتمثيل ، فكل هذه المظاهر وغيرها تكشف عن مدى ما يعاني شبابنا من أزمات ، وما يشكون

(3) المرجع السابق ص 73 عن كتاب .

منه من فراغ روعي واضطراب فكري نشأ عنه انحراف في السلوك . فما هو دور التربية الدينية في تقويم هذا الانحراف وما هي خصائصها التي ترشحها للقيام بهذا الدور ؟

2 - أثر التربية الدينية في تقويم الانحراف الفكري والسلوكي :

يمتاز الاسلام عن سائر الأديان الأخرى بخصائص تربوية بارزة ، وهي ترجع إلى ما تضمنه الاسلام من معاني فيها توجيه للفكر وتربية للسلوك ، وإلى تاريخ الاسلام وموقفه من الحضارة ودوره في ترقيتها ، وإلى الأهداف التي يرمي إليها .

فمعاني الاسلام تستمد من مصادر صحيحة ، لم يطرأ عليها تبديل ولا تحريف وهي القرآن والسنة ، فالقرآن محفوظ في صدور المسلمين ومدون في المصاحف ، رواه الجمع من الثقة تواترا عن الجمع مثلهم إلى أن وصل إلينا كما أن السنة ظفرت بدراسات نقدية عميقة قامت بتمحيصها وتصنيفها إلى أحاديث صحيحة وأخرى حسنة وثالثة ضعيفة . واختصت كتب في الحديث بذكر الصحيح من السنة . وبذلك حفظ الاسلام من التحريف ، وبقيت التعاليم الآلهية والتوجيهات النبوية صافية لا تشوبها شائبة .

والاسلام دين كامل ينظم حياة الانسان كلها ، ويجب عن مختلف التساؤلات التي تحير الانسان أجوبة شافية قال تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً (4) » .

وهو بهذا لا يترك ثغرات في تربيته للانسان ، ويمد المربين بمادة تربوية كافية لمواجهة حاجات التلامذة في كل مراحل تعليمهم .

(4) المائدة : 3 .

والاسلام - دين الفطرة - يتماشى مع طبيعة الانسان ويستجيب لمختلف القوى المركبة فيه ، فلا يجعل بعضها يغطي على حساب بعض ، كما لا يهمل جانباً على حساب جانب .

وليس في الاسلام ارهاق للانسان ولا تحميل له بما لا يطيق ، وإنما هو التكليف على قدر الطاقة . « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها (5) » .

وهو تكليف تراعى فيه مصلحة الانسان القرية والبعيدة فما من تكليف فرض على الانسان الا وفيه مصلحة عاجلة ، فالصلاة تعلم الاستقامة « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر (6) » والصيام يعلم الانسان التقوى :

« كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون (7) » .

وهكذا بالنسبة لساثر التكاليف ثم يجازى الانسان عليها أحسن الجزاء عند ربه يوم يبعث حيا .

ومبادئ الاسلام - بالاضافة إلى ما تقدم - تتسم بالمرونة التي تجعلها تتماشى مع كل الازمان ، وصالحة لكل البيئات ، كما أنها تدعو إلى الخير وتنهى على الشر . وهي بذلك تعتبر خير موجه للجهد البشري في سعيه الدائب نحو الرقي والمدنية ، وخير متوج له بحيث يوجه بحوثه وجهة صالحة ، ويرسُم لها أهدافاً إنسانية نبيلة وشعاره في ذلك كله قول الله تعالى :

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الارض إن الله لا يحب المفسدين (8) » .

(5) البقرة : 286 .

(6) العنكبوت : 29 .

(7) البقرة : 183 .

(8) القصص : 77 .

والاسلام لا يكتفي في منهاجه التربوي بمجرد التعليم وحشو الادمغة بالمعلومات ، بل يضم إلى ذلك التربية أو ما يعبر عنه في الاسلام بالتركية يقول تعالى : « هو الذي بعث في الآمين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين (9) » .

والاسلام يعيب كثيرا على الذين يعلمون الخير ولا يتبعونه ويشبههم بالحمار الذي يحمل فوق ظهره كتبا ولكنه لا يعلم مما جاء فيها شيئا :
« مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا (10) » .

والاسلام في تربيته لاتباعه يعمل على تكوين الوازع الداخلي في الانسان ، ويتمثل هذا الوازع في استحضار الرقابة الالهية في كل عمل يؤديه ، فيعمل على الاتقان في ذلك العمل ليحصل على الجزاء الاوفى عليه :

« وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون (11) » .

فرقابة الله تعالى محيطة ، وجزاؤه العادل يشمل الاعمال كلها ، صغيرها ، وكبيرها ، دقيقها وجليلها ، والذي يستحضر هذه الرقابة في كل عمل يقوم به فإنه يعمل على إتقان عمله ولو لم يكن هنالك رقيب عليه من البشر بينما التربية المدنية تقوم على أساس رقابة القانون وسلطانه فقط ، فلا يرتدع الناس الا عند وجود ممثلي القوانين : فإذا غاب الرقيب حصل الاهمال والتهاون .
والذي يتلخص لنا مما تقدم أن الاسلام يحفظ الناشئة من الانحراف الفكري بما يوفره لهم من معلومات صحيحة ومدعمة بالحجج وبتوجيه الانسان إلى البحث والنظر والتأمل .

(9) الجمعة : 2 .

(10) الجمعة : 5 .

(11) التوبة : 105 .

وهو يحفظهم من الانحراف السلوكي بنظامه الاخلاقي البديع الذي يكفل حفظ الانسان والمجتمع من الآفات والبعد والأمراض الخلقية الفتاكة وبما شرعه من عبادات تدرب الانسان على الاستقامة وتكون منه عنصرا صالحا للمجتمع وذلك بكف الاذى وعدم الاعتداء والتقدم بالاعمال الصالحة التي تعود على المجموع بمنافع عظمت ، وبما شرعه من وسائل ترفهية تعمل على ترويض البدن وتقويته من ناحية وعلى أعداده لتحمل المشاق من ناحية أخرى .

هذه بعض الخصائص التي ترشح التربية الاسلامية للقيام بدورها في حماية الناشئة من الانحراف الفكري والسلوكي ، فكيف يمكن عمليا تقديم هذه الخدمة لمنهاج التربية عندنا ؟

إن الاجابة عن هذا السؤال تقتضي الحديث عن أسباب الانحراف الفكري والسلوكي فالعلاج متوقف على معرفة سبب أو أسباب الداء فما هي إذا أسباب الانحراف الفكري والسلوكي ؟

أسباب الانحراف الفكري والسلوكي :

إن أسباب الانحراف كثيرة ومتنوعة فمنها أسباب ترجع إلى حصص التربية الدينية من حيث الوقت المخصص لها ، ومن حيث وسائل تدريسها ومن حيث الاطار .

ومنها أسباب ترجع إلى المواد التي تدرس في التعليم الثانوي من حيث وجهتها وأسلوب تقديمها والخلقيات الثقافية التي تركز عليها .

ومنها أسباب ترجع إلى النشاطات المدرسية المتنوعة كالرياضة والموسيقى والرحلات من حيث طرق سيرها ، والاهداف التي ترمي إليها . وسأذكر باختصار نماذج من تلك المآخذ .

حصة التربية الدينية :

انّ حصة التربية الدينية لا تحظى بالوقت الكافي لتقرير مختلف مسائلها ففي التعليم الابتدائي تخصص ساعة أسبوعيا لحصة التربية الاسلامية مقسمة إلى ثلاثة محاور أساسية ، هي القرآن والعبادات والأخلاق .

أمّا في التعليم الثانوي ، فإنّ نصيب مادة التربية في المرحلة الاولى ساعة ونصف الساعة أسبوعيا ، ونصيبها في المرحلة الثانية ساعة في الاسبوع وتصبح مادة اختيارية لدى بعض الشعب في الاقسام النهائية . وتختفي مادة التربية الاسلامية نهائيا في مختلف كليات الجامعة باستثناء كلية الشريعة وأصول الدين .

وهذه الحصص غير كافية زمانيا لحصول التربية التي هي حصيللة علم وعمل . والملاحظ أنّها تنقص تدريجيا حتى تختفي في الجامعة . فهل أن الطفل أشد حاجة للتعليم الديني من المراهق ؟ وهل أن الشباب كلما تقدمت به ألسن أصبح في غنى عن تعلم دينه ؟

إن علم النفس التربوي يبين أن القليل من التوجيه يكفي لتربية الطفل ، نظرا لسلامة فطرته وسهولة طبعه ، واستعداده القوي للتلقي والمحاكاة . بينما تشتد حاجة المراهق إلى التوجيه والعناية حتى يستجيب المربي لتساؤلاته الكثيرة ، وليحسن توجيهه في معترك الحياة . أمّا الطالب في الجامعة ، فإنه في حاجة إلى زاد فكري محترم عن الاسلام حتى يتمكن من التماسك في دوامة الافكار والمذاهب التي تعرض عليه في رحاب الجامعة .

ونظرا لما تقدم ، فإن التفكير في اعطاء الوقت الكافي لحصة التربية في المعاهد الثانوية ، واحداث حصص لها في الجامعة أمر جدير بالعناية والاحترام . فالدين كلمة الله إلى جميع المكلفين ، والامانة العلمية تقتضي تبليغ هذه الكلمة إليهم جميعا في مختلف مراحل عمرهم .

وإذا كان النقص في حصة التربية الدينية كامنا في عدم كفاية الحصص المخصصة لها ، فإنه في سائر المواد الأخرى ، العلمية منها والأدبية ، وفي النشاطات العامة التي تقع على هامش الدراسة ، يكُن في انحرافها في مواطن كثيرة من الاسلام . وذلك لأن المواد الدراسية ، والمناهج التدريسية مقتبسة في خطوطها العريضة ، وأحيانا في جزئياتها من كتب أجنبية تهدف إلى غايات تربوية مغايرة لأهداف وتنطلق من أفكار ومبادئ غريبة عن أفكارنا ومبادئنا . وسوف نحاول بيان بعض الجوانب من هذه الظاهرة .

العلوم التجريبية :

ليست العلوم التجريبية معلومات تقدم فحسب ، بل تتضمن بالإضافة إلى ذلك خلفية فلسفية تستند إليها ، فالعلوم التي وضعها المسلمون وصاغوها في قالب الاسلام قد سرت فيها روح الايمان بالله تعالى والعلوم التي وضعها اليونان سرت فيها روح الوثنية وتعدد الالهة ، والعلوم التي وضعها الغرب الاوربي وأمريكا غلبت عليها روح المادية والايمان بالمحسوس والكفر بالغيب . وإذا كان الغرب خاضعا في هذه النزعة المادية لظروفه وأوضاعه ولتاريخه ، فإن المسلمين يختلفون في كل هذه المعطيات عن الغرب المسيحي ، فالكنيسة المسيحية وقفت في عصر النهضة ضد التطور العلمي ورفضته واططهدت العلماء فأخذت دراسة العلوم في أوروبا وجهة معادية للدين وانعكس هذا العداء على دراساتهم ونتائج بحوثهم .

وفي حين وقفت الكنيسة ضد البحث العلمي ، كان الاسلام منذ ظهوره وإلى يوم الناس هذا خير دافع للبحث العلمي وخير موجه له ومتوج لنتائجه ، ولم يسجل في تاريخ الاسلام أي صراع بين الدين والعلم ، ولا اضطهاد للعلماء فلماذا نقتبس العلوم التجريبية بخلفياتها الالحادية وقد كان بإمكاننا أن نجعلها في خدمة الايمان بالله وأن نوجهها في صالح الانسان ؟

إن معاهدنا الثانوية قامت باقتباس العلوم التجريبية عن الغرب دون محاولة تجريبها من خلفياتها الالحادية ودرستها على علاتها ، فأستاذ العلوم الطبيعية مثلاً يقدم دروساً عن تكيف النباتات والحيوانات دون بيان قدرة الله سبحانه وتعالى على الخلق وابداعه فيه ، وهو عوض أن يسند هذا التعدد في المظاهر إلى وحدة الخالق المتصرف في ملكه حسب تخطيط بديع ، يعزو هذه التكيفات إلى الطبيعة ، وأحياناً أخرى يعزوها إلى الصدفة ، فكأن الطبيعة كائن عاقل له هدف حكيم يرمي إليه بينما هي في حقيقة الأمر جماد من الجمادات وضعت فيه الحركة والتغير بتدبير من الله تعالى ؛ وكأن الصدفة أمر معقول يمكن أن تنسب له الأعمال المحكمة المنظمة .

والبحث العلمي لم يتوقف في الغرب عند الالحاد والكفر بالغيب بل إنه سجل تقدماً ملحوظاً نحو الإيمان بالغيب وإسناد التغير والتطور إلى قوة غيبية مبدعة (12) . وقد قدمت بحوث علمية عميقة من علماء أوريين وأمريكيين يرفضون فكرة الصدفة ، أو العبث عن الكون وعن الإنسان ويثبتون فكرة الغيب والإيمان بالله تعالى .

فلماذا يتعلم أبنائنا إذا التيار الالحادي من العلم التجريبي في مدارسنا ولا نعلمهم أن العلم يدعو إلى الإيمان ؟ إن واجبنا الأكيد نحو ناشئتنا أن ننتشلهم من القوى الفكرية ومن الالحاد والفساد وهذا لا يتم إلا باضفاء روح الإيمان بالله على العلوم .

العلوم الانسانية :

والذي قلناه في شأن العلوم التجريبية يصح على العلوم الانسانية ، فدروس التاريخ تقدم لنا شيئاً بتحليل غربي ونظرة للأحداث غريبة عن النظرة

(12) ظهرت في هذا عدة بحوث ودراسات نذكر منها كتاب الله يتجلى في عصر العلم يساهم في كتابته مجموعة من العلماء الغربيين . أشرف على التحرير جون كلارك مونس .

الاسلامية ، فظهور الاسلام والدور الذي قام به سابقا ، وانتشاره والدور الذي يمكن أن يؤديه اليوم للانسانية الحائرة ، كل هذه المحاور لا تجد الاهتمام الجدير بها ، بينما الثورة الفرنسية والفلسفة التي مهدت لقيامها وما كان لها من آثار في سير الاحداث العالمية ، كل هذا يشغل حيزا لا بأس به في برنامج التاريخ .

ونقرأ في دروس التاريخ أن محاولات الاوربيين للاستيلاء على العالم الاسلامي هي حملات تنوير وتعصير لمجتمعاتنا ، بينما هي في حقيقة الأمر حملات منظمة لاحتلال العالم الاسلامي والعربي .

أما دروس الفلسفة فعوض أن تكون منهجية بناءة تعمل على تكوين التفكير المنطقي المنجسم لدى التلامذة وتربيتهم على النقد المنهجي صارت خير فرصة للمخربين ليعلموا تلامذتهم الاحاد وليبثوا فيهم العقائد الفاسدة والمذاهب الهدامة .

النشاطات المدرسية :

وهي النشاطات التي تنظم للتلامذة على هامش الدروس من رياضة وموسيقى ورحلات . والأصل في هذه النشاطات أن تكون وسائل تربوية تعمل على تهذيب الناشئة وتقوية ملكاتهم المختلفة . فالرياضة تعمل على ترويض البدن وتقويته ، والموسيقى تهذب في الانسان أحساسه بالجمال وتنميته ، والرحلات ترفه على الانسان وتزيد في ثقافته إلا أن هذه الوسائل انحرفت عن مقصودها فأصبحت الرياضة فرصة لظهور التعصب والتحامل ، وللاختلاط المخل بالاخلاق الحميدة ، كما صرفت عددا من التلاميذ عن دراستهم . وأصبحت الموسيقى لا تنشر في التلامذة الا الميوعة والانحلال بما تعلمه لهم من موشحات فيها الغزل والمجون أو من موسيقى غربية تحرض على الرقص المختلط الخليع .

وأصبحت الرحلات فرصة للانحلال والخلاعة وتجاوز الحدود الاخلاقية .

انه من المؤسف أن نقول أن النشاطات المدرسية المختلفة عوض أن تعمل على توفير جو إخلاقي نظيف يشع بالفضيلة . أصبحت معاول هدم تنشر في شبابنا الفوضى الاخلاقية وتجربتهم على المعاصي .

هذه — بصفة موجزة — بعض ما تراءى لي من أخطاء في مناهج دراستنا فما هي الحلول التي يمكن أن تقترح ؟

ملاحظات واقتراحات :

إن بلادنا التونسية تنتمي إلى الأمة الاسلامية والعربية ودستورها ينص على أن دينها الاسلام ولغتها العربية ، وانتمائنا للاسلام ليس أمرا جديدا بل هو دين الغالبية العظمى من السكان منذ قرون عديدة .

وانتمائنا إلى هذا الدين يجعلنا أمة ذات مبدأ وعقيدة ورسالة ، ولكي تؤدي التربية مهمتها في بلادنا ينبغي أن تعمل على تنشئة الاجيال التي تدين بهذه العقيدة وتحمل هذه الرسالة وتؤدي هذه الدعوة .

وليست التربية غاية في حد ذاتها بل هي قنطرة تصل بين الحاضر والماضي والخلف بالسلف ، والمعلومات بالعقائد ، وتدعم العقيدة الموروثة بالعلم والمنطق ، والدليل والحجة .

« وهي عملية بناء وتكوين ، لا عملية هدم وتوهين ، ووسيلة ثقة بين الأفراد ورباط بين الجماعات ، لا وسيلة ثورة في الأفكار ، واضطراب في النفوس ، وتفكك في العرى والقوى » .

هذه بعض الملاحظات التي يحسن إعتبارها في كل محاولة لمراجعة البرامج العامة للتربية والتعليم ، بقي ابداء بعض الملاحظات والاقتراحات في خصوص بعض المواد الدراسية .

التربية الدينية :

والغاية من هذه الحصة تكوين المسلم العالم بدينه ، العامل به ، المعترف بالانتساب إليه والعمل على اعلاء كلمته ، وتحقيق هذه الغاية يتطلب البرنامج الدراسي المناسب ، والتوجيه التربوي السديد والقدرة الحسنة .

والبرامج الدراسية المناسبة هي التي تعلم التلاميذ أحكام دينهم المتعلقة بالعقيدة والتصورات والمتعلقة بالعبادات والشعائر وبالسلوك الذي ينبغي أن يسلكه المسلم .

والتوجيه التربوي المناسب هو التوجيه الذي يقنع التلاميذ بجدوى اتباع هدى الاسلام والفوائد العاجلة والاجلة التي تنجر عن العمل به مع إعطاء الأمثلة المناسبة ، وتقديم الحجج العلمية المؤيدة .

والقدوة الحسنة تتمثل في سلوك المربين ومدى إلتزامهم بما يدعون إليه .

وتحقيق هذه الأهداف التربوية لا بد فيه من توفير الوقت الكافي لتقرير المسائل العلمية والاقناع بها ، كما يتطلب تعميم حصة التربية الدينية على مختلف مراحل التعليم بداية من رياض الاطفال إلى أن تصل إلى التعليم العالي ، فالدين ليس خاصا بطبقة دون طبقة ولا بسن دون سن بل هو خطاب المولى سبحانه وتعالى — لكل المكلفين ، والامانة العلمية تقتضي تبليغ هذا الخطاب لهم جميعا .

وينبغي بالاصافة إلى ما تقدم توفير الاطار الكفء الذي يتوفر فيه شروط المربي من غزارة علم وقوة شخصية والتزام بالاسلام ، وغزارة العلم تظهر في ناحيتين :

أ) معرفة الواقع الذي يعيش فيه وما يعتمل فيه من خير وشر .

ب) فهم الاسلام فهما جيدا وعميقا يمكنه من حسن تقديمه .

وينبغي كذلك الاستعانة بوسائل الايضاح الحديثة كالأفلام وبالوسائل العملية التي تزيد في ترسيخ المعلومات كالقيام بفريضة الصلاة جماعة ، وزيارة بعض الآثار التاريخية لتقوية علاقة التلميذ بواقعه وبتاريخ بلاده ، وأداء مناسك العمرة والحج في رحلات منظمة .

العلوم التجريبية :

إن واجبنا كمربين تجاه العلوم التي تدرس أن نقوم فيها بعملية تعريب أولا ، وأن نجردها من خلفياتها الالحادية فنجعلها تتلاءم مع عقائدنا ومع أهدافنا التربوية ثانيا .

ولابد أن نفرق في عملنا هذا بين الحقائق العلمية وبين النظريات :

فالحقائق العلمية لا تتعارض مع ما جاء في الاسلام من حقائق ، بل هي مؤيدة لكثير من الاشارات العلمية في القرآن، بينما النظريات محاولة بشرية لتعليل مجموعة من الظواهر الملاحظة أو المجربة وهي تفسيرات نسبية قابلة للتعديل والمراجعة كلما تقدم البحث العلمي ، فليس من المعقول أن نقدم النظرية إلى التلاميذ كحقيقة علمية لا تقبل النقاش أو التعقيب بل الواجب أن نضعها في إطارها الصحيح .

والمؤسف أن كثيرا من النظريات التي ظهر خطأها تقدم في معاهدنا كحقائق من ذلك نظرية داروين في النشؤ والارتقاء ونظرية القول بالصدفة في وجود الكائنات ، ونظرية القول بأزلية العالم وعدم فئاته .

فقد كشفت البحوث الحديثة فساد هذه النظريات ، وقامت أدلة حاسمة على بطلانها .

إن برامجنا العلمية في حاجة أكيدة إلى المراجعة ، حتى تقع الاستفادة منها وحتى تساهم في تكوين المثقف الذي يفيد أمته وينفعها .

العلوم الانسانية :

وهي أيضا في حاجة إلى مراجعة وتوجيه ، فبرامج الفلسفة ينبغي أن تؤدي وظيفتها في تدريب التلاميذ على التفكير والرياضة العقلية وأن تطلعهم على تاريخ الفكر البشري ومدارسه المختلفة .

وبرامج الأدب في حاجة إلى التوجيه نحو الاصاله والمحافظة ، فالادب بما يمتاز به من قوة تأثير في النفوس خير وسيلة لتوجيه الناس نحو الخير أو نحو الشر . والغالب على الدراسات الأدبية في عصرنا الدعوة إلى الفساد وتحبيبه إلى النفوس ، وكان الأولى توجيهه نحو الاصلاح وبث روح الفضيلة بين الناس . ودروس التاريخ وبرامجه في حاجة إلى إعادة النظر حتى تتلاءم مع النظرة الاسلامية للتاريخ وحتى تكون في خدمة الاهداف التي رسمها الاسلام في توجيهه لنا في الدراسات الاسلامية .

النشاطات العامة :

والنشاطات العامة أيضا في حاجة إلى المراجعة على ضوء تعاليم الاسلام ، فالرياضة مثلا ينبغي أن تؤدي في جو نظيف ليس فيه إشاعة للفساد ، وهذا لا يتم إلا بالتفريق بين الجنسين في الالعب الرياضية ، وباستعمال الأزياء المحترمة في اللعب .

كما أن الرياضة السليمة هي التي تتماشى مع استعدادات كل من الجنسين وامكانيتهما الجسدية ، فالشباب له استعدادات بدنية ونفسية تتطلب نوعا معينا من الالعب الرياضية ، وكذلك الفتاة لها رياضات تتماشى مع استعداداتها البدنية والنفسية ، ومن هنا نتبين خطأ توحيد الرياضات بين الجنسين وخطورته . والرياضة لكي تكون إيجابية ينبغي أن تسعى لتحقيق أهداف تربوية من تكوين الروح الجماعية وتدريب على الدفاع عن المواقع ، وعلى الهجوم ، والاستماتة في تسجيل الأهداف ومواصلة الجهد رغم الأعياء والتعب .

والرحلات — لكي تكون مجدية — ينبغي التخطيط لها بحيث تفيد التلاميذ علميا وعمليا .

وهكذا ، فإن التخطيط لبرامج التربية ولنشاطات المعاهد الثانوية ينبغي أن يكون إيجابيا وبناءا ، وأن يسير وفق خطة متناسقة ومتكاملة تعمل على تكوين الفكر السليم والسلوك المستقيم .

وبعد فإن التربية الدينية ركيزة أساسية في جهازنا التربوي إذ تساهم بصورة إيجابية في علاج الانحرافات الفكرية والسلوكية عند الناشئة ولكي وتى هذه المادة ثمارها ينبغي مراعاة ما يلي :

أ) العناية بمادة التربية الدينية من حيث المحتوى والتوقيت وأساليب التقديم .

ب) تجنب النظرة الجزئية وهي النظرة التي تعني بقسم من أقسام البرنامج العام — كالتربية الدينية مثلا — وتهمل بقية الأقسام ، إن الإصلاح يقتضي مراجعة جذرية لكل البرامج ، وتوجيهها لها بحيث تصبح متداشية مع إصالتها .

ج) هذه المراجعة تحتاج إلى تكاتف جهود الأساتذة في مختلف الاختصاصات وإلى كثير من التأليف والابتكار .

د) وهذا الإصلاح العام لا يأتي بنتيجة إيجابية إذا لم يتوفر الجلو السليم الذي يضمن مراقبة التلميذ وحفظه من كل زيغ .

والله ولي التوفيق

رشيد التليلي

